(c) http://nidaulhind.blogspot.com

مجلة علمية، ثقافية، جامعة، فصلية

ثقافة الهند

المجلد ٥٢ العدد ٢

٢٠٠١م

رئيس التحرير

س. ضياء الحسن الندوي

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

آزاد بوان، نيو دلهي

الهند

(c) http:// nidaulhind.blogspot.com

مجلة ثقافة الهند الفصلية

المجلد ٥٢ العدد ٢

٢٠٠١م

محتويات العدد

ـ الأمير صديق حسن خان: حياته و خدماته ٢٨ ـ ٣٩

أ. د. سيد محمد اجتباء الندوي

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الأمير صديق حسن خان

بقلم: أ. د. سيد محمد اجتباء الندوي

بلادنا الهند من أقدم بلاد الله في الأرض و أعرقها في تقديم نماذج علمية و حضارية و اجتماعية سار بها الركبان و تغنى بها الرجال و الفرسان و اهتزبها الشاب و الفتيان، و ازدادت علما و فضلا و حضارة و مدنية بعد أن تشرفت بالإسلام و مآثره و مكارمه و تعاليمه و حضارته. فأنجبت شخصيات مثلت دورا حيويا كبيراً منها صاحبنا العالم المفكر الموسوعي الجليل الأمير صديق حسن خان الذي قل نظيره علما و فضلا و انتاجاً و تاليفاً، فقد جمع الأمير بين الدولتين: دولة الحكم و تسيير دفة الإمارة أو المساهمة فيها، و دولة العلم و التعليم و الخدمات العلمية و الحضارية، فقد كانت مساهمته في المعارف الإسلامية و الأدبية عظيمة و ضخمة لا نقدر على احصاءها بهذه العجالة أو في الوقت القصير.

ولد الأمير ببلدة بانس بريلى في ولاية اترا برديش في بيت جده لأمه في سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م) (١) و انتقلت به أمه إلى مدينة قنوج حيث كان والده يقيم، و كان قد سُر بنبأ مولده، فكان يحن إلى رؤيته، و كان الوالد الشيخ أولاد حسن عالما تقيا مجاهداً بايع أمير المؤمنين سيد أحمد الشهيد رحمه الله و سار على خطاه، و لكن الأمير صديق حسن لم يحظ بكفالة أبيه و رعايته إلا خمسة أعوام فحسب كما ذكره بنفسه:

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

"ولدت في ١٩/ جمادى الأولى سنة ١٢٤٨هـ و انتقل ابي إلى رحمة ربه في سنة ١٢٥٣هـ، فربتني امي، و قامت بتعليمي و تربيتي خير قيام" (٢).

و كان الأمير يذكر مسقط راسه "بانس بريلى" كثيراً و ينشد:

بلاد بها حل الزمان تمائمـي و أول أرض مسّ جلدي ترابها

تولت الأم الحنون بعد وفاو ابيه سنة ١٢٥٣هـ تعليمه و تربيته و وجهته توجيها اسلاميا قويما، و كانت عالمة مثقفة حكيمة مدبرة، يقول الأمير عن اسلوب تعليمها و تربيتها:

"كنت في السابعة من عمرى، و كان المسجد قريبا من بيتي، حينما يؤذن لصلاة الفجر و انا في سبات عميق هادي، كانت امي ـ رحمها الله ـ تؤقظني و تؤضئني و تبعثني إلى المسجد، و لا تتركني. بأن أصلى في البيت، و إن لم اقم من نومي ترش الماء على وجهي" (٣)

هكذا تلقى الأمير منذ طفولته تربية دينية صالحة فلم يتقاصر عن واجباته الدينية طوال حياته، و لم يزعزع عقيدته و طريقته المنصب الحكومي و الجاه الدنيوي و الصيت العالمي فيما بعد.

أرسلته امه منذ صباه إلى كتاب البلد، تلقى دراسته الابتدائية فيه، و قرأ بعض الكتب البدائية على شقيقة الاكبر الشيخ أحمد حسن، ثم سافر إلى بلدة فرخ آباد و كانبور و قرأ على علمائها، و سمع عن دهلى العاصمة مركز العلم و منبع الثقافة و الحكمة، فساقه الشوق و الشغف بالعلم إلى العاصمة، و قرأ على علماءها و استفاد من رجال بيت الامام ولى الله الدهلوى و تتلمذ خاصة المفتى صدر الدين خان بهادر صدر الافاضل ـ مفتى القارة الهندية آنذاك ـ قرأ الأمير علوم الحديث على الشيخ زين العابدين بن محسن اليماني

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

(١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) و الشيخ عبد الحق البنارسي المحدث تلميذ الامام الشوكاني (١٢٨٦هـ/١٨٦٩م).

و لما اتم سنتين كاملتين في دهلى استاذن استاذه المفتي صدر الدين للعودة إلى الوطن، فمنحه اجازة بخط يده، و قد انتفع الامير كثيرا باقامته في دهلي، بحضوره حلقات الدرس و مجالس العلم و الادب و الشعر، و كان يذكر دائماً هذه الحلقات و المجالس و النوادى و يهتز ويتغنى:

سقى الله وقتا كنت اخلو بوجهكم و ثغر الهوى في روضة الانس ضاحك

اقمنا زماناً و العيون قريرة و اصبحت يوماً و الجنون سواكب

عاد الامير بعد عامين من دهلى، و هو غزير العلم، عميق الدراسة، واسع الاطلاع، خصب الفكر، عالى الهمة، بجنب ذكاء و قاد، و ذاكرة قوية، خطط لنفسه اعمالاً علمية و خدمات دينية و اجتماعية، و خطة رسائل و مؤلفات و لكن ظروف البيت الاقتصادية كانت سئية جداً، كان اخوه الاكبر الشيخ احمد حسن العرشي بعيداً عن البيت لم يقدر على نيل وظيفة تفى بحوائج البيت، فشعر بمسئولية نحو العائلة و كان عمره آنذاك واحداً و عشرين عاماً. ذكر هذا الوضع المؤلم في كتابه "روض الخضيب ص ١٦٤" و "ابقاء المنن ص ٦"، و اراد أن يخرج من بلده قنوج عملا بقوله عزوجل: (فامشوا في مناكبها و كلوا من رزقه).

فسافر في شهر رجب سنة ١٢٧١هـ/١٨٥٤م إلى إمارة بهوبال التي سمع عنها كثيرا من جاره "محمدى" و استطاع بواسطة (مدار المهام) رئيس وزراء الامارة الشيخ جمال الدين تلميذ الشاه عبد العزيز المحدث الدهلوي (رحمه الله)، نيل الوظيفة فيها لتدوين تاريخ بهوبال في عهد الاميرة سكندر جهان بيكم، و لكن بعد فترة قصيرة نشا خلاف فقهي بينه و بين بعض العلماء في الإمارة، فاضطر إلى

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

مغادرة الامارة على الفور، و ارتحل إلى إمارة طونك، و لكن الجو هناك لم يلائمه، و أراد العودة إلى قنوج، إذ تلقى رسالة من الأميرة و من قبل الشيخ جمال الدين يطلبانه إلى بهوبال، فجاء و حظى بمقابلة الأميرة فاحتفت به و اكرمته و عينته في الديوان الأميري، فبذل مجهودا ضخما لإنجاز اعمال فوضت إليه، و نال حظوة الأميرة سكندر جهان، و اعجاب رئيس الوزراء و الشعب عامة، و بذلك ترقى إلى مناصب جليلة في الإمارة، ففتح مجالات واسعة في كل ميدان من ميادين الحياة، فتقدمت الامارة و ازهرت و اثمرت و أينعت يضرب بها المثل في السلام و الوئام، و السكينة و الهدوء و الطمانينة.

رأى كل ذلك الشيخ جمال الدين و رأى في الأمير صديق حسن العلم و الفضل و الخلق و النبل فعقد معه قران ابنته الفاضلة التقية، "زكيه بيكم" و استقدم الأمير أمه و اخواته من بلده قنوج و عاش الجميع عيشة هنيئة هادئة، و رزق الأمير من زوجته هذه بنتا و ابنين هما السيد نور الحسن و السيد علي حسن، كانوا من خيرة الأولاد علما و فضلا و خلقاً.

شعر السيد الأمير بشيء من الراحة عن مسئولية الرعاية و الكفالة لعائلته و ساعدته زوجته العالمة المخلصة الوفية في تسيير شئون البيت فاتجه إلى ميوله العلمية و انتاجاته الفكرية و كان قد ورث مكتبة من والده فزاد فيها و طلب كتبا و مؤلفات حديثة من البلاد العربية و الاسلامية و سعد بالحج و الزيارة سنة ١٢٨٥هـ، و اغتنم هذه الفرصة فنسخ خمساً و عشرين رسالة من رسائل الأمير محمد اسماعيل صاحب "سبل السلام" و اشترى الكتب التالية: "اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله، و ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق في الاصول، و نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (النصف الأول)، و فتح القدير للإمام الشوكاني". (٤)

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

و التقى في خلال فترة الحج و الزيارة كبار شخصيات إسلامية و وثق معهم روابط اخوية و علمية و عين له وكلاء في بلاد العرب يرسلون إليه كتبا و مؤلفات، و عاد بعد ثمانية أشهر من هذه الرحلة المباركة التي غيرت مجرى حياة الأمير في مجالاتها المختلفة، و أكب على التاليف و الترجمة في اللغات الثلاث: العربية و الفارسية و الأردية، و طبع الكتب القديمة و الحديثة، و عمر بذلك مكتبة الهند الإسلامية و ملأها بذخائر من الفكر الاسلامي تربو مؤلفاته عن مائتين و خمسين كتابا، فيها ست و خمسون كتابا في اللغة العربية عن مواضيع: التفسير و الحديث و الفقه و اللغة و الأدب، و قد القيت نظرة نقدية تحليلية عليها بالتفصيل في كتابى عن الأمير صديق حسن خان.

استطاع الأمير بإخلاصه للعمل و خدماته الجليلة أن يحتل مكانة مرموقة في قلوب الشعب و رجال الحكم و البلاط الأميري، فعين رئيسا للديوان الأميري، و لما اعتلت الأميرة شاه جهان بيكم العرش، رأت فيه من العلم و الفضل و الجد و الاجتهاد و العمل الدائب و الحب و التقدير و الوفاء للحكم و الامارة نصيبا وافرا، فوثقت به، و كانت أعمال الامارة توسعت كثيرا، فاحتاجت إلى مساعد أمين مخلص وفي، و كانت أرملة توفى عنها زوجها قبل سنوات، و ولدت له ابنة كان اسمها سلطان جهان بيكم التي تولت الحكم بعدها، فاستأذنت الأميرة الحكومة الانكليزية للزواج مع الأمير صديق حسن خان، فسمحت لها فتزوجت منه في عام ١٢٨٧هـ/١٨٧١م (٥)، يقول العلامة الشيخ عبد الحيء الحسني عن هذا الزواج:

"كان يتردد (السيد الأمير) بحكم منصبه إلى نواب شاه جهان بيكم ملكة بهوبال، و يمضى بين يديها، فألقى الله في قلبها محبته، فقربته إلى نفسها و كانت أيما، مات زوجها النواب باقى محمد خان قبل سنوات، و قد اقترحت

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الحكومة الانكليزية الزواج ليكون زوجها بجوارها، ليساعدها في شئون الحكومة و الادارة، فتزوجت به لما علمت من شرف نسبه و غزارة علمه و استقامة سيرته، سنة سبع و ثمانين و مائتين و الف الهجرية، و جعلته معتمد المهام سنة ثمان و ثمانين و مائتين و الف، و منحته اقطاعا من الارض الخراجية تغل له خمسين الف روبية كل سنة"(٦).

عاش الزوجان بسلام و ونام و اخلاص و وفاء، يقومان بخدمة البلاد، و ترقيتها و تطويرها طبقا للشريعة الاسلامية الغراء، و نظراً لخدماته الضخمة منح السيد الامير القابا و اوسمة، و لكنه احيط بمؤامرات و دسائس من قبل الحاسدين و المغرضين في الامارة، أساءت به الظن الاميرة سلطان جهان بيكم ولية العهد، و أوغر هؤلاء صدر بعض حكام الحكومة الانكليزية فانتزعت جميع الالقاب و لكنها لما ثبت لديها كذب و افتراء المغرضين ردت إليه تلك الالقاب و لكن بعد وفاته، و لقى محنا شديدة واجهها بصبر و حلم، صبر الصالحين الابرار، و اصيب بمرض الاستسقاء و توفى على اثره سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠، رحمه الله تعالى.

و حينما عينت الاميرة شاه جهان بيكم السيد الامير معتمد المهام القى نظرة جامعة شاملة على امور الإمارة و شئونها، فقرر بأن يقوم بالاصلاح و التطوير للأمور التالية و لكنه واجه بالعراقيل و العقبات بهذا الصدد فشجعته الاميرة قرينته و ساعدته و مدت إليه يد العون و أيدته كل تائيد و خاضت معه المعارك و شمرت عن ساق الجد لهذا الاصلاح و التطوير و يلخص كما يأتي:

١ ـ تحديد الأراضي و توزيعها بين الفلاحين كما يستحقون.

٢ ـ تحديد الاقطاعية و اعادتها إلى اصحابها الشرعيين.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

٣ ـ رفع الضرائب الثقيلة الجائرة.

٤ ـ تنظيم نظام الزكاة طبقا للشريعة الإسلامية.

٥ ـ تنظيم محاكم و تعيين قضاة عادلين.

٦ ـ اصلاح نظام الشرطة و المخافر.

٧ ـ تأسيس مدارس في أنحاء الإمارة للتعليم و التربية.

٨ ـ فتح مكتبات عامة زاخرة بالكتب.

٩ ـ إنشاء ادارة الحسبة (مكتب التفتيش و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر).

١٠ ـ إنشاء المطابع الحجرية لطبع الكتب القديمة و الحديثة.

١١ ـ احياء ادارة الشئوون الدينية و تعيين علماء صالحين فيها، و تنظيم ادارة المساجد و تشييدها في العاصمة و المدن و القرى، و فتح الكتاتيب فيها لقراءة القرآن الكريم و مباديء الإسلام.

١٢ ـ إنشاء مجلس الشورى للحكم على أساس "و أمرهم شورى بينهم".

١٣ ـ تنظيم جيش الإمارة من جديد و تحديد الرواتب حسب المراتب.

١٤ ـ انشاء مصلحة للبناء و التشييد للمباني الحكومية و المساكن الشعبية.

١٥ ـ نشر الوعي الاسلامي و بث التوعية الفكرية و الخلقية في الإمارة.

١٦ ـ الترغيب إلى نكاح الأيامى و زواج الأرامل الذي كان محظورا في

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

المجتمع الهندي قبل الحركة المباركة للإمام ولي الله الدهلوي و السيد أحمد الشهيد رحمهما الله.

١٧ ـ الحظر على تعاطى المسكرات و الرشوة و الربا و القمار الذي كان عاما في الإمارة.

إنه نظرة إجمالية عامة على الخدمات العلمية و الأعمال الإصلاحية و الخطوات التقدمية التي قام بها السيد الأمير صديق حسن خان بتمام الحكمة و الحنكة و الإخلاص، و لم يرد بذلك إلّا رضاء ربه تعالى، و صلاح الأمة و فلاحها، و استطاع بأن يشعل في الناس ثورة التفكير من جديد في العودة إلى الكتاب و السنة و احياء التراث و الشغف بالعلم و الأدب و اللغة و الحكمة و المعرفة، و جمع لديه علماء راسخين و جنودا مجندين لخدمة البلاد و الإمارة و الشعب، و اعتنى بكل مجال من مجالات الحياة الإنسانية، فأثمرت مجهوداته هذه، و بذلك يتضح بأن الأمير صديق حسن خان كان من كبار علماء الهند و من اعظمهم تاليفا و انتاجاً و نفعا، و له يد كريمة بيضاء في ميادين العلم و الفكر و الثقافة و الحضارة لا تنسى مادامت الأرض و السماء.

و إن كان الوقت يسمح لي بهذه الندوة العلمية الأدبية المنعقدة من قبل قسم اللغة العربية بجامعة دهلي لقدمت تعريفا عاماً لمؤلفات الأمير كلها و لكن استاذن لتقديم نموذج لبعض كتبه الأدبية ليقدر اهمية مؤلفاته الأدبية و قيمتها العلمية.

اللغـــــة و الأدب:

لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من المعرب و الدخيل و المولد و الأغلاط.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الكتاب موضوعه اللغة و هو في اللغة العربية، يحتوى على مائتين و ثمان و ستين (٢٦٨) صفحة، و طبع في الهند، جمع المؤلف الأمير في الكتاب: الكلمات و الألفاظ و التعبيرات و المحاورات التي انتشرت بين العامة و هم يزعمون خطأ انها عربية صحيحة، مع انها أخطاء قادحة عمّت حتى في الأوساط العلمية فحاول المؤلف التحديد بهذه الأخطاء و ضبطها و أتى بكلمات و تعبيرات صحيحة، على بصيرة و ضوء من المصادر العربية الموثوق بها و من كتب اللغة المعتبرة، و يستشهد من أقوال العرب الأقحاح و المؤلفين الأوائل في اللغة و الأدب أمثال عبد الحميد بن يحيى الكاتب، و ابن قتيبة و الأصمعى و أبي عبيد و الجاحظ، و سيبويه، و الخليل بن أحمد الثعالبي و الميداني وغيرهم.

و أذكر على سبيل المثال بعض بحوث المؤلف فيقول:

"فالحرف الذي من حروف العرب و مما يعرف به المعرب، اجتماع الجيم و القاف فإنهما لم تجتمعا في كلمة واحدة من كلام العرب إلّا أن تركوا معربة أو حكاية صوت و لا تجتمع الصاد و الجيم في كلام العرب إلّا في "صمج" و هو القنديل، و لا نون بعدها راء و لا زاء بعد دال و لا لفظ عربي من "باء و سين و تاء" و لم يجتمع في العربية سين و زاى و لا سين و ذال معجمة إلّا في كلمة معربة كساذج معرب سادة".

و يقول: "و المولد من الكلام المحدث يقال هذه عربية و هذه مولدة و هي ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم و الفرق بينه و بين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربي فصيح و هذا بخلافه، ثم أن المؤلفين كما غيروا الأبنية غيروا هيئة التركيب و أوزان الشعر فأقسام النظم عندهم سبعة: الشعر و الموشح و الرباعى معروفة، و الزجل و كان و قوما و احماق و هي

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

لا تكون إلا ملحونة و واحد برزخ و هو و المواليا و كان له وزن واحد، و انظر الاول منه أطول من الثاني".

هكذا درس المؤلف الالفاظ المعربة و المعجمة و المولدة التي دخلت اللغة العربية أو انتقلت الالفاظ العربية إلى لغات اعجمية اخرى، و بحثه جيد مفيد.

قال المؤلف عن الكتاب:

"فإني رأيت كثيرا ممن ركبوا متون لسان العرب و سلكوا بينات الطرق في مدن الادب قد ضاهموا العامة في بعض محاورات كلامهم و شافهوا "المولدون" اقلامهم في ملاحن أقلامهم مما يزرى بقدرهم العلي، قد عانى الأنف إلى اذب جنابهم عن الشين و ازيل عن قيلهم هذا الرين فألفت هذا الكتاب و اودعته من النسب، كل باب في أحسن إيجاز و ألطف اطناب و سميت "لف القماط" ... و رتبته على مقدمة و فصول و خاتمة ".

نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان:

إن الكتاب قطعة أدبية رائعة، جادت في تاليفه قريحة الامير الفياضة، فصاغت في ألفاظ عربية، صورة بديعة جيدة و مدهشة للادب و الشعر، يعكس الكتاب مواهب الامير الادبية و قدرته الشعرية، الكتاب يحتوى على ١١٢ صفحة بالحجم المتوسط بل الصغير طبع في مطبعة الجوائب بالقسطنطنية عام ١٢٩٦هـ يقول الامير عن الكتاب:

"فهذا بيان العشق و العشاق و المعشوقات من النسوان و ما يتصل بذلك من تطورات الصبوة و الهيمان، الذي افصح به أصحاب ديوان الصبابة و تزيين

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

الأسواق و سبحة المرجان، لخصته فيها حلية للأذان، و أتيت فيه بأشياء مما يزرى بأريج الريحان و سميته نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان و رتبته على مقدمة و فصول و خاتمة".

يقدر القارىء بهذه القطعة التي اقتبسناها من الكتاب للبيان عن الكتاب، و ذكر الأمير في آخر الكتاب قصيدة قرضها في شبابه، إليكم بعض الأبيات منها:

لله غانيـــة في مهجتـــي نزلت	مالت إلى الوصل و قائم ماوصلت
صحت بقلبي و ضامتني بلاسبب	يا أيها القوم قولوا كيفمـا فعلت
أ تحفت جوهر قلبي نحو حضرتها	ألقت إلى قماشا متومـــا قبلت
لله درك يا صدّيق من كلـــــم	نظمتها و هي في أوصافها كملت
صلى الاله على المختار من مضـر	ما دام سنته للمؤمنين حلـت (٨)

البلغة في أصول اللغة:

كتاب في الأدب، ذكرت فيه طرائف أدبية و مبادئ و أصول لغوية، كتاب قيم و نافع جدا.

الهوامش:

١ ـ ابقاء المنن ص ٧ ، ٢ ـ نفس المصدر ص ٧.

٣ ـ المصدر المذكور ص ٧.

٤ ـ مقالتي عن الأمير صديق حسن، مجلة الأمة ص ٧٩.

(c) http://nidaulhind.blogspot.com

٥ ـ نفس المصدر ص ٧٩.

٦ ـ نزهة الخواطر ج ٨ ص ١٨٩ ـ ١٩٠

٧ ـ مجلة ثقافة الهند عدد ٣ مجلد ٤٣ ١٩٩٢م ص ٨٨.

٨ ـ مسودة كتاب "الأمير صديق حسن خان: حياته و آثاره.

المراجع:

الأمير صديق حسن خان: أبجد العلوم، المطبعة الصديقية بهوبال ١٢٩٥هـ

" " ابقاء المنن بالقاء المحن: المطبع الشاه جهاني بهوبال ١٣٠٥هـ

" " الروض الخضيب، مفيد عام لكره ١٢٩٨هـ

" " رحلة الصديق إلى البيت العتيق، المطبع العلوي لكهنؤ ١٢٨٩هـ

العلامة عبد الحي الحسني: نزهة الخواطر في بهجة المسامع و النواظر، دائرة المعارف حيدرآباد ١٣٩٠هـ

الأستاذ سليم فارس: قرة الأعيان و مسرة الأذهان، مطبعة الجوائب، قسطنطنيه ١٢٩٨هـ

الأمير علي حسن خان: مآثر صديقي، طبعة نول كشور لكنؤ ٤١ ـ ١٩٤٢م.

مجلة الأمة. دولة قطر عدد ٤٧ اغسطس ١٩٨٤م.

مجلة رابطة العالم الاسلامي عدد ١٠، مكة المكرمة سبتمبر ١٩٧٨م.

مجلة ثقافة عدد ٣ مجلد ٤٣ دلهي ١٩٩٢م.